المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 04-08-2005 العـــدد : 14222
الصفحـات : 39 المسلسل : 104

ملف صحفي

البيعة

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 04-08-2005 العـــدد : 14222
الصفحـات : 39 المسلسل : 104

البيعة بين الشريعة والقانون

د. انور ماجد عشقي

يخطئ من يعتقد انه لا يوجد في الشريعة الاسلامية منهج سياسي ويخطئ من يعتقد ان القوانين الوضعية اكثر عدالة من الشريعة الاسلامية. فالنظم السياسية في الاسلام اعتمدت التطبيق لا التنظير، فالتاريخ الاسلامي الطويل اثرى البشرية بأنظمة العدالة بكل انواعها وبشكل خاص العدالة السياسية.

فالحكم ينتقل بأربع صور اما ان يكون بالاستخلاف او اختيار اهل الحل والعقد او اهل الشورى او الشوكة فالاستخلاف وهذا يتم عن طريق الاختيار والترشيح للحاكم من اهل الحل العقد، كما حدث في خلافة ابي بكر الصديق عندما اختاره المسلمون في سقيفة بني ساعدة ثم بويع في السقيفة، اما اختيار الخلف من قبل الحاكم او الخليفة كما حدث لعمر بن الخطاب رضي الله عن، الذي اختاره ابو بكر رضي الله عنه ولما قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه استخلف علينا قال: ان استخلفت عليكم فقد استخلف عليكم من هو خير مني وان لم استخلف عليكم فلم يستخلف عليكم من هو خير مني وسن وقتها انتقال الحكم بطريقة ثالثة بأن جعل الخلافة في ستة من المبشرين بالجنة يختارون من تجتمع عليهم اراؤهم.

اما الامام الجويني فقد اضاف عليها اهل الشوكة وهذا الامر حديث طويل فانتقال الحكم من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد «يرحمه الله» الى خليفته خادم الحرمين الملك عبدالله تم بالاستخلاف ثم البيعة وهو ما ورد في نص البيان الذي صدر من الديوان الملكي فما هي البيعة؟ وكيف تتم؟ وما هي اهميتها؟

فالبيعة هي تواضع القوم على القبول بالطاعة والمسلم يبايع طاعة على ما جاء في القرآن والسنة لانهما المصدران الاساسيان للتشريع وذلك لان البيع تنازل متبادل على الحق فالمسلم يتنازل عن حقه للحاكم والحاكم يلتزم بتفويض عن هذا التنازل بالعمل على توفير كافة الحقوق له بموجب الشريعة والقانون فقد قال الله عز وجل ﴿ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما﴾ «الاية ١٠ من سورة الفتح» وفي هذه الآية عمومية للنص وخصوصية للسبب، لهذا نجد ان البعض في المصطلح السياسي هي تأييد للمرشح للخلافة والموافقة على هذا الترشيح وبهذا كانت بيعة ابي بكر اول بيعة سياسية في الاسلام وانحصرت فيمن حضرها من المهاجرين والانصار وهذه البيعة تعتبر بيعة مؤقتة او تمهيدية حتى تتم البيعة الكبرى والبيعة الكبرى هي البيعة العامة كما يسميها الطبري وتأتي في اعقاب البيعة الصغرى وتمت في عصر ابي بكر في المسجد بعدما القى خطابه السياسي الذي قال فيه «لقد و ليت عليكم ولست بخيركم اطيعوني ما اطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم».

هذه الكلمات فتحت فتحا كبيرا في التاريخ الانساني فكل خليفة او ملك او رئيس في الشريعة الاسلامية عليه ان يلقي خطاب الملك او الرئاسة الذي يوضح فيه خطه السياسي ومبادئه في اخصر العبارات وعليها تتم البيعة الكبرى.

فالبيعة الكبرى تتم من قبل المسؤولين والافراد وعامة الشعب وليس بالضرورة ان يبايع كل انسان البيعة المباشرة لكن من الضروري ان يبايع كل انسان حتى ولو بضميره وهذا ما يعرف بالبيعة الضمنية، واخذ بها الفقه الوضعي بعبارة Consensus والبيعة تشكل ضرورة لكل مسلم و لا بد من ان يبايع بيعته الكبرى إما بالمصافحة الفعلية او المبايعة الضمنية لأنه يستحيل ان يبايع جميع افراد الامة مبايعة فعلية.

وأصل البيعة الكبرى ان تكون على ملأ من الناس ويستحسن ان تكون في المسجد الجامع وان لا تكون سرية تحت ظروف معينة والاساس ان تكون البيعة الصغرى سرية تحت ظروف معينة كما حدث في عهد عبدالله بن الزبير.

ولا يحل لمسلم ان لا يبايع فقد قال عليه الصلاة والسلام «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية» ولا تجوز بيعة على بيعة فقد قال عليه الصلاة والسلام «اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر».

وهذا مما يؤكد ان بيعة الفئة الضالة باطلة لأنها بيعة على بيعة فلو التزم المسلمون بالبيعة واحكام الشرع الحنيف لما كانت هناك فتن ولن تجد الفئة الضالة طريقا لها. لهذا نحن في حاجة الى اعادة دراسة الاسلام واستخراج المناهج السياسية من الاحكام الشرعية وان تلقى في الجامعات والمعاهد حتى يصبح المسلم عالما بشؤون دينه مدركا للاحكام الشرعية.